ولم يكن العرب يصدقون أن مجرد المواجهة بين القوة الناشئة -التي يقودها محمد صلي الله عليه وسلم وصحبه- يمكن أن تتم مع بني الأصفر، وانظر كلمة أبي سفيان: (لقد أمر (عظم) أمر ابن أبي كبشة).
ولم يوقن أبو سفيان أن هذا الدين سينتصر إلا بعد سماع كلمة هرقل، فقال: فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.
ما أشبه اليوم بالبارحة:
دين الله يحارب في بلاده وتشن عليه معارك يعرفها العام والخاص، والدعاة إلى الله يشردون ويسجنون ويقتلون ويرسفون في الأغلال على يد أبناء جنسهم الذين يلهجون بلغتهم وهم من جلدتهم.
ولكن الغرب ي ف ر ق من مستقبل هذا الدين، الغرب ب شق يه الصليبي الغربي والإلحادي الشرقي أضف إليه الخوف الرعيب الذي ترتجف منه أوصال الصهيونية العالمية من التيار الإسلامي في المنطقة وهي تحذر وتنذر وتصرخ وتخطط لمواجهة المد الإسلامي المقبل.
يقول ابن غوريون: (نحن لا نخشى الإشتراكيات ولا القوميات ولا الملكيات في المنطقة، إنما نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلا وبدأ يتململ في المنطقة، إني أخشى أن يظهر محمد جديد في المنطقة.
ويقول جب في كتابه (Wither Islam) (جهة الإسلام)(1) [كتاب كتبه مجموعة من المستشرقين نتيجة أبحاث قدمت لمؤتمر في جامعة (برنستون) في أمريكا]. (إن الحركات الإسلامية تتصور عادة بسرعة مذهلة مدهشة، فهي تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الإسترابة في أمرها، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين).
فهرقل يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه).
أما أبو سفيان فيقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: ابن أبي كبشة!!.
ولقد كان هرقل جادا في أمره فعرض على قومه أن يعلنوا إسلامهم(2)[قال هرقل لعظماء الروم: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش]. فأصروا استكبروا وأعرضوا كأنهم حمر مستنفره فرت من قسوره، ولو قبلوا لنجا ونجوا وبقي لهم ملكهم عدا عن الفلاح والرشد الذي يحمي الممالك ويحفظ الديار ويبارك الأعمار والأجيال.
لقد كان شأن حاشية هرقل شأن كثير من الحواشي اليوم ممن يزينون للحكام سوء العمل ويوغرون صدورهم على الدعاة المسلمين الذين يريدون أن يقدموا الخير للحكام ولحاشيته ويحافظوا على الوطن والديار والأموال والقيم والأجيال.
إن الدعاة يحرقون أنفسهم لينيروا الطريق أمام البشر، ويحملون السعادة ليقدموها إلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فيؤذونهم ويضطهدونهم.
لقد انتكست الفطرة ومسخ الإيمان، فهل تقوم الأجيال الحاضرة بالدور الكبير الذي أشار إليه سيد البشرية ص.
أين خيرة الله من أرضه التي اجتبى الله إليها خيرته من عباده؟